﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٨٥﴾ [الشعراء: 185]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

موقفُ المعاندِ القدحُ في الحقائق

لمّا كان حاصِلُ ما مضى إعْلامَهم بالرِّسالة، وتخْويفَهم عَذابَ اللّه، لِأَنّه لا يَستعْصي عليْه صغير ولا كبير: أجابوه بِالقَدح في الرِّسالة أوَّلًا، وباسْتصْغار الوعيد ثانيًا، بِأن ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾[1]، إعْلانًا منهم عن رَفْض دَعوَتِه وردِّها وعدَم الاكْتراث بِها جُملَةً وتفْصيلًا.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

المكذِّبُ المعاندُ سريعُ الاتِّهام بذيءُ الكلام

تُبيِّن الآيةُ الكريمة موقفَ قوم شعيب ﷺ من دعوته لهم بالتّقوى والطّاعة للّه ربِّ العالمين، بأن رمَوه بأنَّه مسحورٌ، وحصروا دعوته ﷺ كلَّها في هذا الأمر؛ وهذا ديدنُ الفاسدين في كلِ عصرٍ وحين.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

علَّةُ فصْلِ الآية عما قبلها:

من شأنِ المحاوراتِ الفصلُ بين أطرافِها

فُصِلَتْ جُملَةُ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ عَنِ الجُملَةِ السّابقة، التي مطلَعُها ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧٦ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٧٧﴾ [الشعراء: 176 - 177]؛ لِشِبْهِ كَمالِ الاتِّصالِ، حَيْثُ أَثارَتِ السّابِقَةُ، بِمُشْتَمِلاتِها وما عُطِفَ عليْها مِنْ جُمَلٍ، هي خُلاصَةُ دَعْوَة شُعَيبٍ ﷺ قومَهُ إلَى تَقْوَى اللّه وعَدَم ظُلْم النّاس، وتَحذيرِهم عِقابَ اللّه، أَثارتْ سُؤالًا فحْواهُ: فماذا كانَ رَدُّهُم؟ فجاءَتْ جُملَةُ: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ بِمَنْزِلَةِ الجَواب عَنْ هَذا السُّؤالِ المُقَدَّرِ، ففُصِلَتْ عَنْها كَما يُفْصَلُ الجَوابُ عَنِ السُّؤالِ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 88.

غرَضُ الخَبَرِ وفائدتُه:

رفـضُ الـدَّعـوة يـأتي بالـحُجَجِ الـبـاطـلـةِ والاتِّـهـامـات الزّائفة

غَرَضُ الخَبَرِ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ هوَ إفادَتُهُ عَدَمَ اقْتِناعِهِم بِرِسالَةِ شُعَيبٍ ﷺ، أو أَنَّهُ لا يَصْلُحُ أَصْلًا لِلرِّسالَةِ، لِكَوْنِهِ مسحَّرًا مَخْبولَ العَقْلِ كَما يَزْعُمونَ؛ فهو رفضٌ لقبولِ الدَّعوةِ بحجَّةِ التُّهمة الباطلة، فالخبرُ يُراد منه بيانُ موقفِهم، مع ما فيه من الاحتجاج الباطل.

دلالةُ القَصْرِ وبلاغتُه:

على قـدْرِ رسوخِ المخاطَب يكون رسوخُ الخطابِ

بُنِيَت الآيَةُ الكَريمَةُ على أُسْلوبِ القَصْرِ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾، أَي: ما أَنْتَ إلّا مُسَحَّرٌ لا تَصْلُحُ لِلرِّسالَةِ، وهوَ قَصْرٌ إضافيٌّ، حيثُ نَفَوْا عَنْهُ صِفَةَ اسْتِواءِ العَقْلِ واتَّهَموهُ بِالجُنونِ والتَّسَحُّرِ، وهوَ قَصْرُ مَوْصوفٍ على صِفَةٍ، هي صفةُ السحر، كما أنَّ غرض القصرِ هو قَصْرُ قَلْبِ اعتقادِ المخاطَبِ، وهوَ سَيِّدُنا شُعَيْبٌ ﷺ الذي يَعْتَقِدُ العَكْسَ، فهوَ يَعْرِفُ أَنَّهُ عاقِلٌ مدركٌ لا سِحْرَ بِهِ؛ فخاطَبوهُ على خِلافِ اعْتِقادِهِ لإنفاذ باطِلِهم، وتحقيقِ غايتهم.

نكتةُ القَصْرِ بطريقِ ﴿إِنَّمَآ﴾:

غـايـةُ الـتَّـؤمِ الادِّعـاءُ بـأنّ الـبـاطـلَ مِـنَ المُسَلَّماتِ

آثَرَ النَّظْمُ الكَريمُ أسلوب القَصْرِ بأداة ﴿إِنَّمَآ﴾ في قوله تعالى ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ دون بقيَّة طرق القَصْر؛ لِأَنَّهُ طَريقٌ يَأْتي في مَقامِ الحَديثِ عَنِ المُسَلَّماتِ والبَدَهيّاتِ الَّتي لا يُنْكِرُها المُخاطَبُ، ولا يَشُكُّ فيها، ولا يُصِرُّ على خَطَئِهِ، والسّامِعُ مَعَها مُتَلَقٍّ الكَلامَ بِالقَبولِ، إمّا لِأَنَّهُ في نَفْسِ الأَمرِ جَليٌّ، أَوْ لِأَنَّ المتكلِّمَ يَدَّعيهِ جَلِيًّا[1]، فالأَصْلُ في ﴿إِنَّمَآ﴾ أَن تَأْتي في خَبَرٍ مِنْ شَأْنِهِ أن لا يَجْهَلَهُ المُخاطَبُ ولا يُنْكِرَهُ، حَتَّى إنَّ إنكاره يزولُ بِأَدْنَى تَنْبيهٍ لِعَدَمِ إصراره عليه[2]، فقومُ شُعَيبٍ يَدَّعونَ أَنَّهُ مُسَحَّرٌ، وأَنَّ كَوْنَهُ مُسَحَّرًا مِمّا

(1) السكاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 295.
(2) التّفتازانيّ، مختصر المعاني، ص: 116.

لا يَشُكُّ فيهِ عاقِلٌ، ولا يُنْكِرُهُ مُنْكِرٌ، حَتَّى هوَ ﷺ؛ وهذا في غايةِ البجاحةِ والوقاحةِ، وقد أتى النَّظم الكريم بما يُصوِّر حالَهم، ويُبرِزُ للمخاطَب أخلاقَهم.

بَلاغَةُ الكِنايَةِ في الوصفِ بالتَّسَحُّر:

الاتِّهامُ بالسِّحر كنايةٌ عن رفض الاعتراف بالرِّسالة

جاءت جُملَةُ القَصْرِ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ كِنايَةً عَنْ زَعمِهم بعَدَم صَلاحيَّة شُعَيبٍ ﷺ للرِّسالَةِ، فقَدْ زَعَموهُ مَسْحورًا، أَيْ مُخْتَلَّ الإِدْراكِ والتَّصَوُّراتِ مِنْ جَرّاءِ سِحْرٍ سُلِّطَ عليه، وذَلِكَ كِنايَةٌ عَنْ بُطْلانِ أَنْ يَكونَ ما جاءَ بِهِ رِسالَةً عَنِ اللّهِ تعالى[1].

دَلالَةُ مجيءِ المُسنَد إليه ضميرًا ﴿أَنتَ﴾:

احتمالُ الأذى في سبيل الحقِّ بُلغةُ الأتقياء ورِفعَةُ الأنقياء

جاء المسندُ إليه ضَميرَ مُخاطَبٍ ﴿أَنتَ﴾ في قَوْلِ اللّه تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾؛ للدّلالة على وقاحَتِهم وسوءِ أَدَبِهم في مُخاطَبَةِ نَبيِّ اللّه شُعَيْبٍ ﷺ، وتَأْكيدًا على إِلْصاقِ التُّهْمَةِ بِهِ، حَتَّى لا يَتَطَرَّقَ الاحْتِمالُ إِلَى غَيْرِهِ، وهذا الخطابُ لشخصِ شعيبٍ ﷺ، مع ما يحمل في طيّاته من الوقاحة، يدلُّ على صبرِه ﷺ على سوءِ أدبهم في خطابه، ومدى احتمالِه في سبيل رضا اللّه تعالى.

نُكتةُ التَّعْبيرِ بِالجارِّ والمَجْرورِ ﴿مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾:

كلَّما زاد ازدراءُ أهل الحقِّ بانت أمـاراتُ الكِبْر والزَّهو

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالجارّ والمَجْرورِ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ دونَ أَنْ يُقالَ: (قالوا إِنَّما أَنْتَ مُسَحَّرٌ)، ليَدُلَّ على ازْدِرائِهِم لَهُ، وتنقيصِهم مِنْ شَأْنِهِ؛ إِذْ لَوْ وصَفوه بأنّه مُسَحَّرٌ لَما اكتسب قوَّة وصفِه بأنّه إنّما هو مُنخَرِطٌ في سِلك المُسَحَّرين، وفردٌ من جماعَتهم، كما أنّهم أرادوا باستعمال الجارّ والمجرور ﴿مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ بيانَ أَنَّ السِّحْرَ مُتَأَصِّلٌ فيه، فهوَ مُتَّصِفٌ بِهِ طَبيعَةً وجِبِلَّةً، ومُتَأَصِّلٌ في ذاتِهِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 186.

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بِصيغَةِ ﴿ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾:

رمـيُ الأفّـاكـين بليغٌ أليم

جاء التَّعبير بِصيغَةِ ﴿ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ في قَوْلِ اللّه تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾، وهيَ اسْمُ مَفْعولٍ مِنْ (سَحَّرَ) بِتَشْديدِ الحاءِ، ولم يُصَغ اسمُ المفعولِ من (سَحَرَ) مخَفَّفِ العَين، فلم يُقَل (من المَسْحورينَ): لِلْمُبالَغَةِ في الدّلالَةِ على حُدوثِ السِّحْرِ ووُقوعِهِ عليه أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ؛ فلَوْ سُحِرَ مَرَّةً واحِدَةً لَقالوا: مَسْحورٌ، هذا على القول بأنّ ﴿ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ في الآية من وقعَ عليهمُ السِّحر[1]، فيكون المَعْنَى: أَنَّكَ مُخْتَلُّ العَقْلِ والتَّفْكيرِ، مَجْنونٌ، لَنْ نَسْمَعَ لَكَ[2]؛ وفيه إيحاءٌ بِشِدَّةِ وُقوعِ شُعَيبٍ عليه السلام تَحْتَ وطْأَةِ السِّحْرِ - فيما يزعمون - مَعَ تَكْرارِ وقوعِه مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

معنى تعريفِ ﴿ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾:

ذمٌّ المخاطَب بالمعهودِ أبينُ في الازدراءِ

تعريفُ لفظِ ﴿ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ بـ(أل) في قَوْلِ اللّه تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ لِلْعَهْدِ الذِّهْنيِّ، أَيْ: من المُسَحَّرينَ المَعْروفينَ المَعْهودينَ في أَذْهانِنا، ممَّن وقع عليهم أثرُ السِّحر، فلم يستطيعوا فهمَ الواقع، ولا إدراكَ الحقائق، وهَذا أَوْقَعُ في الازْدِراءِ، وأَعْظَمُ في الاحْتِقارِ؛ وأندى في مَدحِ شعيبٍ عليه السلام في الصَّبر على قومِه.

(1) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 97.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 17/ 10677.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»